## المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام

# الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني

### عمان – الأردن

### ١ – ٥ أبريل ٢٠١٢

**أ.د. خالد عزب**

مدير إدارة الإعلام
مكتبة الإسكندرية
الإسكندرية – جمهورية مصر العربية



**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

خالد عزب، تقرير عن مؤتمر: الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ١٩٢٠.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس عشر؛ يونيو ٢٠١٢. ص ٩٧ - ٩٨.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢


## نبذة

تحت عنوان "الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ١٩٢٠"، انعقد المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، من (١- ٥ نيسان ٢٠١٢) في رحاب الجامعة الأردنية وبالتعاون مع جامعتي اليرموك ودمشق، عرض فيه الباحثون (٨٨ بحثًا) في قاعتين للمؤتمرات بالجامعة الأردنية صباحًا، وفي قاعة المحاضرات بفندق "الميرديان" في عمان مساءً، وجرت مناقشتها بروح علمية جادة، على أن تُنشر بعد تقييمها في كتاب يصدر في عدة أجزاء عن "لجنة تاريخ بلاد الشام" التي يرأسها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت.

## موضوع المؤتمر

ناقش المشاركون في المؤتمر مصادر الأمطار والمحاصيل الشتوية والصيفية ووحدات الكيل والأوزان والمقاييس والأشجار المثمرة والضرائب، كما تناولوا الثروة الحيوانية والأوبئة والجوانح والكوارث الطبيعية وتربية الحيوانات والتقنيات الزراعية في بلاد الشام وتطورها بالإضافة إلى القوى البشرية العاملة في الزراعة. بالإضافة إلى مناقشة مصادر مطبوعة للنشاط الزراعي في بلاد الشام، ومصادر الأمطار، والمحاصيل الصيفية والشتوية، والكيل والموازين، والكوارث الطبيعية، وتربية الحيوانات، إلى جانب بحث ومناقشة مواضيع تتعلق بالتقنيات الزراعية والقوى العاملة في القطاع الزراعي خلال الفترة الممتدة من أواخر العهد البيزنطي حتى أواخر العهد العثماني.

## أبحاث المؤتمر

كان موضوع هذا العام عن الزراعة والري في بلاد الشام عبر العصور، هذا المؤتمر الذي تشكل سلسلة أبحاثه عبر دوراته المتعاقبة مرجعًا لا غنى عنه للباحثين في تاريخ بلاد الشام، ونستطيع أن نتوقف عند عدد من الأبحاث الهامة التي قدمت به، ومن أبرزها بحث الدكتور فتحي درادكة عن **الموارد المائية في جبل عجلون**، حيث يغذي الجبل بالمياه عبر ثلاثة أودية هي وادي راجب، ووادي كفرنجة ووادي اليابس، وهي المنحدرات الطبيعية للجبل وتصب جميعها في نهر الأردن، وتعتبر من الأودية الرئيسية المغذية للنهر، أهم ما في هذه الدراسة هو ما ذكره الباحث عن مجموعة الطواحين التي تدور مع تدفق المياه وهي نماذج أثرية جيدة.

فيما قدمت الدكتورة هند أبو الشعر دراسة عن **صور المناخ والتعامل مع مصادر المياه في دمشق وريفها أواخر العصر المملوكي من خلال يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق** التي سجلها خلال الفترة (١٢٨٢ – ١٤٨٠)، عبر ثلاث مواسم شتوية، وخلصت الباحثة إلى ما يلي:

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

- حرص ابن طوق على متابعة دمشق وبوادرها وتابع باهتمام الأوضاع في ريف دمشق، وقرى الغوطة لأنه كان يزرع في قريته، ويتابع أوضاع الموسم فيها، كما ميز ابن طوق بين أهالي دمشق وريفها وسمى أهالي الريف الفلاحين.
- ميز بين المطر الرذاذ وتابع حالات الرياح والعواصف باهتمام، خوفًا من سقوط ثمار بستانه الذي اعتمده في معاشه، وتربية الدواجن فيه.
- أولى أوضاع الأنهار اهتمامًا خاصًا، فكان يتابع عملية "تعزيلها" وهي العملية التي يسميها أهالي دمشق قطع الأنهار، وتشارك فيها عادة حارات دمشق بدفع مبالغ مالية محددة، ويورد أيضًا أخبار اندفاع الأنهار شتاءًا، ويلاحظ لون الماء ودرجة اندفاعه ودلالات هذه التغيرات على الأنهار والقنوات التي تمر بدمشق.

هذه الظواهر وغيرها أوردها أيضًا المعنيين بالدراسات الجغرافية التاريخية مثل عبد الله الغنيم، ورشاد الشامي، وظهرت في العديد من مطبوعات وأبحاث الجمعية الجغرافية المصرية والجمعية الجغرافية الكويتية.

قدم إحسان الثامري دراسة عن **المعارف والمهارات الزراعية في بلاد الشام من خلال مخطوطة (جامع فرائد الملاحة في جوامع الفلاحة)** لرضي الدين الغزي المتوفى ٩٣٥هـ، وهو كتاب موسوعي يضم مادة زراعية جمة، فضلاً عن كثير من المعلومات الطبية والصحية المتعارف عليها آنذاك، والمهارات الفلاحية في معاملة الأرض والمياه والزرع، والخبرات العملية التي اكتسبها الناس ومارسوها، ولأهمية هذا الكتاب فله مختصران هما: (علم الملاحة في علم الفلاحة) لعبد الغني النابلسي، و(رسالة البيان والصراحة بتلخيص كتاب الملاحة في علم الفلاحة)، لمحمد بن عيسى الصالح الدمشقي.

وضع الغزي كتابه ليكون مرجعًا معولاً عليه في الفلاحة وعمارة الأرض، حيث أعطى معلومات وافية عن التربة والمياه والأشجار والتركيب والتطعيم والتوليد والتحسين وعلاج علل النبات، ودفع الآفات، وحرث الأرض وقلبها وكيفية زرعها وتعميرها بأنواع الأسمدة، وترتيب السقي، وما يسقى بالأمطار، وعلامات الخصب والجدب، وكلها مادة مفيدة للبيئة الدمشقية.

وقد أسهبت حنان ملكاوي في التطرق إلى **الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشيخ الربوة الدمشقي**، وهو يتناول كل ما يتعلق بأنواع مصادر المياه ومختلف الزراعات، لكننا سنتوقف عند الصناعات الغذائية، ومنها طرق صناعة ماء الورد. فقد كانت الورود والزهور تُزرع وتغطي مساحات كبيرة من الأراضي في دمشق وضواحيها، فقد انفرد شيخ الربوة بتفصيل أربع طرق لصناعة ماء الورد فلكونه دمشقي فقد أورد في كتابه صور توضيحية مع شرح مفصل لهذه الطرق.

تطرق كل من نعمان عمرو، وعبد الرحمن المغربي في دراسة رائعة إلى **زيت الزيتون، إنتاجه وتصنيعه في نيابة القدس خلال العهد المملوكي**، فشجرة الزيتون من أقدم الأشجار المثمرة التي عرفتها فلسطين بشكل عام، وتشكل معاصر الزيت الروماني أهم عناصر المواقع الأثرية في فلسطين، ويطلق الأهالي على أشجار الزيتون الضخمة والمعمرة اسم الزيتون الرومي، بسبب اهتمام الرومان بشجرة الزيتون قبل الفتح الإسلامي، وفي العصر الإسلامي خاصةً في العصر المملوكي انتشرت زراعة الزيتون، وعُثر على عدد من معاصر زيت الزيتون من هذا العصر، وقدم الباحثين شرحًا وافيًا لتقنيات عصر الزيتون واستخراج الزيت منه، والصناعات القائمة عليه، و قدما العديد من الوثائق والمراسيم المرتبطة بالزيتون زراعة وصناعة.

لكنني توقفت كثيرًا أمام دراسة محمود يزبك عن **برتقال يافا وأثرة في التغييرات الاجتماعية والاقتصادية في مدينة يافا ومحيطها في القرن التاسع عشر**، يعود انتشار زراعة البرتقال في ريف يافا إلى عثمان أغا وهو قائد فرقة بوسنية شبه عسكرية، حيث تملك قطعة أرض كبيرة وأنشأ نظام ري مكلف جدًا شمل حفر بئر وإنشاء بركة كبيرة لجمع الماء للأشجار، وخلال جمع المحصول استخدم عدد كبير من العمال، وأنشأ شبكة متطورة للتسويق، فصدر منتجاته لمصر وتركيا، وشق برتقال يافا طريقه للأسواق العالمية. وقد استعان الباحث بسجلات محكمة يافا الشرعية، وهو ما أكسب بحثه مصداقية أمدتنا بمعلومات جديدة وافية.

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449